

كيفية الانتقال إلى الآخرة؛ كيف نُحسن الاستعداد لها؟

استكشاف العوامل المؤثرة في كيفية الانتقال إلى الآخرة

كثيرًا ما يواجهنا عند التفكير في الموت وما بعده، سيلٌ من الأسئلة والهواجس. وربما جالت بخاطرنَا هذه الهواجس أيضًا؛ على أيّ عوامل يتوقّف مستوى انتقالنا إلى الآخرة؟ ما المصير الذي ينتظرنا بعد أن نغادر هذه الدنيا؟ هل سيكون استقبالنا في ذلك العالم مقرونًا بالطمأنينة والسكينة، أم سُنْفاجًا بالقلق والندم والحسرة؟ وهل يمكن للإنسان أن يُحسّن من استعداداته لتلك اللحظة الحاسمة والمفصلية؟ ثم ما هي الثروة الحقيقية والزاد الحقّ الذي ينبغي أن نحمله معنا إلى هناك، وما الذي يستحق فعلًا أن نصطحبه إلى الدار الآخرة؟

إنها أسئلة تمثّل أعماق الهواجس الوجودية للإنسان؛ قضايا تتردّد على أذهاننا كلّما هزّتنا أحداث الحياة، ولا سيّما حين يبلغنا خبر وفاة قريب أو صديق. عندها يتوقّف المرء ليعيد النظر في أسلوب حياته، وليتأمل حقيقة الدنيا الفانية وزوال متاعها، فتزداد بصيرته بقيمة ما يبقى ويخلد، وما يُعينه عند مفارقتها لهذه الحياة. إنّ الاطمئنان إلى أن انتقالنا للآخرة سيكون انتقالًا طيبًا مرضيًا، هو شاغل كلّ إنسان صادق في طلب الحقيقة، متعطّش إلى راحة القلب وسكينة النفس في لحظة العبور إلى ذلك العالم الأبدي. والتوقّف عند هذه الأسئلة، والسعي لإيجاد أجوبة واضحة، عقلية، رصينة لها، لا يمنحنا فقط راحة أكبر في مواصلة حياتنا، بل يوسّع مداركنا ويُعمّق فهمنا لغاية الحياة ومعناها الحقيقي. هذه التأمّلات بحدّ ذاتها تهيّئنا لصنع مستقبل أفضل في الآخرة، وتدفعنا إلى البحث عن كنوز لا تبلى ولا تفنى، بل تبقى زادًا حقيقيًا يرافقنا في اللحظات المصيرية التي تعقب الموت.

في هذا المقال، نسلّط الضوء على كيفية الانتقال إلى الآخرة، ونستعرض العوامل المؤثرة فيها، لنبيّن ما الدور الذي تؤدّيه ثرواتنا الحقيقية في هذا العبور، وما الذي يستحقّ فعلًا أن يُدّخر استعدادًا لتلك اللحظة الفاصلة.

ما المقصود من كيفية الانتقال إلى الآخرة؟

إنَّ كَيْفِيَّةَ الانتقالِ إلى الآخرة تعني حالة نعبّر بها إلى العالم الآخر: أهي حالة اطمئنان وسكينة، أم حالة قلق وحسرة؟ وهذه الكيفية لا ترتبط بلحظة الموت وحدها، بل هي حصيلة إيماننا وأعمالنا ونيّاتنا التي صحبّتنا طوال حياتنا في الدنيا.

ولفهم هذا المعنى، نستعين بقانون النسبة: فقد قيل إنَّ مهمّة الجنين في رحم أمّه هي تكوين الأعضاء اللازمة لحياته في الدنيا كاليدنين والرجلين والقلب، وهي الأعضاء التي تتناسب مع ظروف العالم الخارجي. وكلّما اكتملت هذه الأعضاء، كانت ولادته أيسر وأفضل، وقيل إنّه وُلد سليماً معافى.

وكذلك من المنظور الديني: كيفية الانتقال إلى الآخرة تجسّد مدى استعدادنا الروحي لملاقاة الحقيقة الأبدية. فكما يستعدّ الجنين للحياة الدنيوية، نستعدّ نحن للحياة الأبدية بما نحمله من ثرواتٍ روحية ورسيدٍ من الأعمال. فكلّ إنسان يعيش تجربة الانتقال إلى الآخرة بما يتناسب مع مكتسباته وسلوكه في الدنيا. فإذا كان نمط حياتنا متوافقاً مع الغاية التي خُلِقنا من أجلها، كان الانتقال إلى الآخرة هادئاً، مطمئناً، مفعماً بالرضا. أمّا إذا أهملنا تلك الغاية، وتهاونا في التمسك بحياة إنسانية قَويمة، فسينعكس ذلك انتقالاً مليئاً بالقلق والندم. إذًا، ما نسّميه اليوم "كيفية الانتقال إلى الآخرة" ليس سوى النتيجة المباشرة لجهودنا وخياراتنا في هذه الحياة الدنيا، وهي قضية جديرة باهتمامٍ خاص من كلّ باحثٍ عن الحقيقة.

ما معنى الثروة الإنسانيّة؟

عندما يُذكر لفظ "الثروة"، فإنّ أوّل ما يتبادر إلى أذهان الكثيرين هو المال، أو المنزل، أو السيارة، أو ما نملك من مقتنيات ثمينة. ولا ريب أنّ امتلاك مثل هذه الثروات المادية يوفّر لنا قدرًا من الراحة والرفاهية والأمان في حياتنا اليوميّة. لكن إذا أمعنا النظر بعمق في حقيقة الوجود، تبين لنا أنّ هذه الممتلكات لا تتجاوز حدود هذه الدنيا، وأنّها مع انتهاء العمر والانتقال إلى العالم الآخر تفقد قيمتها، فلا يُنتفع بها ولا يُعوّل عليها. لقد أثبتت لنا تجارب السابقين، كما أكّدت التعاليم الدينيّة والإنسانيّة، أنّ ما يرافق الإنسان بعد موته أعمق وأبقى من مجرّد الأموال والثروات. وبالتأمّل الدقيق ندرك أنّ من أهمّ العوامل الجوهرية التي تحدّد كَيْفِيَّةَ الانتقالِ إلى الآخرة هو تلك الثروات اللاماديّة الكامنة في أعماقنا. ثرواتٌ قد لا تُرى بالعين، لكنّها تشكّل الجوهر الأصيل لوجودنا. تخيّل إنساناً كرّس سنوات عمره في ترسيخ خُلق السخاء، حتى صار يُعرف بين الناس بـ "الجواد". أو آخر ربّي نفسه على الصبر والمصابرة، حتى غدا مَضرب المثل

في الجِلم، فلَقَّبوه بـ "الحليم". وما يهَمُّ في الأمر أنّ هذه الصفات لم تعد مجرد أفعال عابرة أو مواقف متفرّقة، بل تحوّلت إلى جزء راسخ من شخصيّته، فأصبح هو بذاته تجسيداً لتلك الصفة الرفيعة. وهذه الثروات الباطنيّة هي التي تنفع الإنسان عند دخوله الآخرة. فهي الرصيد الحقيقي والكنز الباقي، ولها دور حاسم في تحديد جودة الانتقال إلى العالم الآخر. إنّها خير زادٍ للحياة الأبدية. أما المال والممتلكات مهما كثرت، فلا أثر لها في هذا المعبر المصيري. وحدها الأسماء والصفات الإلهية التي اجتهدنا في تحصيلها وتثبيتها في ذواتنا هي الثروة الأثمن والأبقى. فهي التي ترفع مكانتنا في الدنيا، وترافقنا بعد الموت كخير زاد، لترتقي بكيفية انتقالنا إلى الآخرة وتجلّيها بأسمى صورة.

كيف نزيد من ثرواتنا النفسية؟

بناءً على ما ذكرنا، فإن أهم طريق لتحسين ورفع كيفية انتقالنا إلى الآخرة هو الاستثمار الحقيقي في الثروات الإنسانية في الدنيا. لكن كيف يمكننا أن نكتسب هذه الثروات ونثبتها في أنفسنا؟ يمكن تشبيه ذلك بتكوين الجنين في الرحم. فالجنين في رحم أمه يبني أعضائه المناسبة للحياة الدنيا، حتى يولد سليماً وكاملاً. ازدياد ثروة الجنين تعتمد على تركيزه على هدفه في الرحم. ما دام الجنين لا يغفل عن هذا الهدف أي بناء أعضائه بشكل سليم، ستكون ولادته بجودة عالية؛ لكن أي توقف أو تكوين غير مناسب للأعضاء لن يكون وفق ظروف حياة الدنيا سيهدد كيفية ولادة الجنين. كذلك نحن، طوال حضورنا في رحم الدنيا يجب أن نركز على هدف خَلقنا، وهو اكتساب أسماء الله، وننظم حياتنا وفقاً لهذا الهدف. الوصول إلى هذه الثروات الإنسانية عملية طويلة تتطلب جهداً كبيراً. الرغبة أو النية وحدها لا تكفي، بل يجب أن تكون لدينا إرادة ومثابرة لتعزيز هذه الفضائل تدريجياً. يشكل التعمق في فهم الذات (معرفة النفس) واستكشاف مكنوناتها الأخلاقية نقطة البداية الأساسية لارتقاء كيفية الانتقال إلى العالم الآخر. فبمجرد أن يُقر المرء بصدق بنقاط ضعفه وقوته، تأتي المرحلة الأكثر أهمية وهي الممارسة الفعلية والمواظبة على السلوكيات القويمة مثل الصدق والصبر والعفو في المواقف اليومية، ولو كان ذلك صعباً. كما أن التغلب على الرغبات السيئة ومقاومة الوسواس يلعب دوراً حاسماً في تنمية هذه الثروات.

مسار تعزيز الثروات الإنسانية ليس قصيراً أو سهلاً، لكن ثماره هي الأكثر قيمة. فعندما تترسخ هذه الصفات فينا، لا تزول بتغير الظروف أو صعوبة الحياة، بل تصبح نوراً يهديننا حتى في أصعب اللحظات.

كيفية انتقالنا إلى الآخرة تعتمد على ثروات إنسانية نكتسبها طوال الحياة، لا على ثروات مادية. فصفت مثل الصدق والرحمة وضبط النفس هي أكبر رأسمالنا للآخرة، وتمنحنا السلام الحقيقي هناك. لذلك، إذا أردنا انتقالاً موفقاً إلى الآخرة، يجب أن نركز على تنمية هذه الصفات والثروات الإنسانية أكثر من أي شيء آخر.